لقاء قناة البغدادية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2008/2/1
(مشروع الدولة وأخطاء التجربة)

المقدم: لنبدأ من آخر الأخبار الساخنة في جولتك الجديدة، وهي لقاؤك بالجماعات المسلحة كما تحدثت الأنباء.. ما صحة ذلك أولاً، وما حجمه؟

الجعفري: لم تكن آخر اللقاءات إنما ألتقي أحياناً ببعض الشخصيات ذات علاقة بالجماعات المسلحة، وأقف على قناعاتهم ووجهات نظرهم من كثب، منذ ما يقرب السنتين، أسمع منهم وأتحاور معهم، وأحاول أن أفهمهم وأُشعرهم بأهمية العملية السياسية والمشاركة فيها.

المقدم: هل التقيت ممثلي جماعات مسلحة محددة معروفة خلال جولتك في القاهرة؟

الجعفري: التقيت شخصيات عراقية ولا أدري إن كان بعضها ممثلاً لقوة مسلحة معينة أو ماشاكل ذلك، إنما أنا منفتح وألتقي مع مختلف الشرائح، ولا أسأل عن هذا الشخص، والجهة المسلحة التي يمثلها.

المقدم: هل هذه محاولات شخصية منكم أم هي جزء من برنامج سياسي في الحوار مع الجماعات المسلحة؟

الجعفري: لا شك أن الحوار اليوم مع الجماعات المسلحة ليست شأناً ثقافياً أو شيئاً تجريدياً، إنما هي قضية تمسّ الساحة بالصميم على جميع الصُعُد ومنها السياسي والأمني، وتغور في العمق المجتمعي.

المقدم: هنالك من يقول لا يمكن الحوار مع الجماعات المسلحة قبل الإصلاح الداخلي للعملية السياسية... فكيف تجري عملية سياسية مضطربة حواراً مع معارضيها، او تتوصل الى اتفاق جماعي على هذا الحوار؟

الجعفري: أنا لا أنكر أنك عندما تحاور ينبغي أن يكون صفك متراصّاً وقوياً، ولكن إذا كان وضعك متخلخلاً فلا يمنع من الحوار؛ لأن التعامل مع الآخرين ينعكس إيجاباً على الصف.

المقدم: هل زيارتك للقاهرة تأتي ضمن الاستضافات التي تجريها القاهرة لعدد من السياسيين العراقيين تمهيداً لمؤتمر المصالحة الذي تنوي عقده؟

الجعفري: أنا شخصياً لم تنقطع جهودي ومحاولاتي في استثمار كل فرصة، وأصدح بصوتي العراقي، وكل ما يمت لهذه العملية بصلة سواء كانت في فصل المصالحة الوطنية، أو دعم العملية السياسية، أو تقوية العلاقات بين العراق كطرف والأطراف الإقليمية الأخرى، وأنا أشعر أن العراق جزء من البيت العربي، ومن ثم الأصل هو الحوار وإدامته وتقريب وجهات النظر، ومد اليد للأيادي العربية المختلفة سواء كان على صعيد الجوار أو غير الجوار.

المقدم: البعض يقول: إن قضية العراق بكل مشاكله الحالية بقيت مجمّدة ومنسية في الاهتمام العربي والدولي؛ فبدأ السياسيون العراقيون يبحثون عن مخارج لأزماتهم بالاتصال بالدول العربية والدول الإقليمية.. هل يأتي تحركك في هذا التفسير؟

الجعفري: من يراقب تحركي منذ دخولي العراق ومشاركتي في الإطار السياسي الحاكم منذ الأشهر الأولى سيجد أن الوتيرة كانت واحدة، حين كنت رئيساً لمجلس الحكم بادرت في ذلك الشهر أن أزور سبع دول بما فيها مصر باعتبارها الحاضن العربي، وتحدثت معهم، وبقيت أتردد بين فترة وأخرى على مصر وبقية الدول العربية إيماناً مني بأن العراق جزء من البيت العربي، وهو دولة مؤسسة لجامعة الدول العربية، فليس لديّ جديد في أصل حرصي على هذه العلاقة.. تبقى مسألة الملفات الساخنة، وما يدور في الوضع العراقي والملابسات التي تكتنف العملية السياسية العراقية هي الأولى في مباحثاتنا وعليها تتمحور زياراتي.

المقدم: هل يمكن القول: إن المشروع السياسي العراقي فشل بعد أكثر من أربع سنوات على التغيير الذي حدث في العراق؟

الجعفري: مشروع الدولة لم يفشل؛ لأن أسسه أرسيت على دعائم قوية، مستمدة من تأييد الشعب العراقي لها وهي الدستور والبرلمان وآلية الانتخاب.

المقدم: يقول البعض: إن ما تتحدث به عناوين ولكن على صعيد التطبيق تقوم على أسس الآن يندم عليها الكثير من السياسيين من ضمنها المحاصصة الطائفية، وآلية الانتخابات وإنجاز الانتخابات، و التجاذب الحاصل بين الكتل السياسية المكونة لمجلس النواب.

الجعفري: هذا الكلام ليس مدعاة للتمني، ومجرد أقوال أو عنوان بدون معنون، هناك معنونات تتحرك على الأرض، ويلمسها المواطن فهناك امرأة عراقية دخلت البرلمان، وهناك تعددية، وهناك تحوّل سلطة من مرحلة إلى أخرى بطريقة سلمية، ليس بالقتل والسجن، وعندما نتحدث عن المركب السياسي لا نتحدث بلغة رياضيات، إنما نتحدث عن سياسة..
المحاصصة من أخطاء التجربة، والنفس الطائفي أيضاً من أخطاء التجربة، ولكن القضية أخذِت من زاوية أخطاء التجربة فقط، ولم يكن هناك حديث عن نجاحات التجربة، والبنية الأساسية من دستور وبرلمان وانتخابات.

المقدم: على صعيد الدولة أي دولة لابد لها من مركزية، في الدولة إذا لم يكن الديكتاتور مركزياً فيكون الدستور أو القانون.

الجعفري: الدستور ليس ديكتاتورية، والدولة في النظرية الديمقراطية ليست ديكتاتورية، ولا تعني الديموقراطية غياب المركزية.. الديموقراطية سياقات، والمركزية في الديموقراطية تقوم على الدستور، وتقف على قاعدة البرلمان، المركزية في الديكتاتورية تبدأ وتنتهي بالرأس الواحد والذي يفعل ما يشاء، ولا يفعل ما يشاء غيره.

المقدم: ولكنك تنتمي إلى حزب ذي صبغة طائفية، ومن كتلة ذات صبغة طائفية في العمل السياسي ألا ينبغي أن نخرج من هذه البوتقة لندخل هذه التجربة.

الجعفري: يجب أن أقول لك: إن حزب الدعوة ليس حزباً طائفياً..
الطائفية هي كل حزب وكل تكتل يأتي من خلفية طائفية، ويتقصر أداؤه وتشكيله وتكوينه على طائفة معينة، ويخاطب، ويؤدي، ويقصي الآخر.. هذه هي الطائفية أو العنصرية.
لنميّز بين فكر الجماعات الإسلامية وبين أدائها، فعلى الصعيد الفكري هناك سياقات ونمطيات وشخصيات تختلف في فهم الفكر الإسلامي وممارسته، وتستوعب المسافة بين التنظير والتطبيق، وهذه فجوة آيديولوجية كبيرة؛ لأنه ومن خلال الاطلاع على أداءاتها نجد ثمة بوناً شاسعاً بينهما، فيما يُفترَض أن تكون العلاقة تبادلية بين التنظير والتطبيق فالكفوء هو من له قدرة تنظيرية، وأكفأ منه هو من يطبّق من موقع الاستيعاب والفهم؛ وعليه يحث القرآن الكريم بقوله:
((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)).

المقدم: لأدخل إلى مشروعك.. يقال: إن الجعفري في أكثر من موقف يعمل على تأسيس حزب وطني غير إسلامي يجمع الكثير من الشركاء الجدد.. هل هذا صحيح؟

الجعفري:لا أريد أن أصنع حزباً بالمعنى الدقيق للحزب؛ لأن الحزب تستطيع من خلال كونك أمام مهمة تشكيل الحزب، وتحصي أعضاءه وأفراده بدءاً من قمته إلى أن ينتهي إلى القاعدة، هذا حزب..
إنما نحن أمام حالة جديدة اسمها تيار.. التيار يبدأ بقيادته وهيكليته وتمثيله، و لا ينتهي عند حد؛ لذلك سُمّي تياراً، فأي مواطن يتفاعل مع شعارات معينة ورموز وأداء معين فهو جزء من التيار، وإن لم يكن عضواً بالمعنى الآلي في الحزب.
المقدم: ولكن نجاح هذا المشروع (التيار) بحاجة إلى آليات لدخول الانتخابات وتشكيل وسيلة ضغط داخل البرلمان؟

الجعفري: طبيعتي في العمل تيارية، واليوم الذي أفكر فيه بتأسيس حزب سأقول بكل صراحة، وخطابي، وتعاملي، ووجودي في داخل الدعوة أعمل بهذه الثقافة، وأفهم أن الفكر الإسلامي فكر تياري يتسع إلى الآخر، وأكتب بهذا الاتجاه، وأسلك هذا الاتجاه، وأعتقد أن مقتل كل حزب خصوصاً الأحزاب الإسلامية إذا ابتعدت عن الجماهير وقواعدها، فلا أجد تناقضاً بين ما أدعو إليه، وما أعمل من أجله، وما يربطني بفكر الدعوة.

المقدم: وما طبيعة الأنباء التي تسربت من داخل حزب الدعوة، عن وجود خلافات وإعادة تشكيل وإعادة هيكلية لم يكن الدكتور الجعفري في المقام الذي كان يأمله؟

الجعفري: أنا لم أعمل من أجل أن أحتلّ مكاناً معيناً، وأنا موجود في قيادة الدعوة، لكن لديّ وجهات نظر في الأمور التي حصلت في المؤتمر، وتحفظت عليها، واعتبرتها خللاً آلياً في طريقة إدارة المؤتمر، وانعكست على النتائج، واتفق معي الإخوة الذين يتصدون للتنظيم حالياً، ووعدوا بأن يفكروا بطريقة لمعالجتها، ثم إن اختلافي لا يعدو قلة قليلة جداً من أعضاء المؤتمر لا تتجاوز أصابع اليد، أما عموم الدعاة فهم يحترمون ويقدرون انطلاقتي ومسيرتي حتى الآن.

المقدم: هل رحب الدكتور الجعفري باختيار السيد نوري المالكي أميناً عاماً لحزب الدعوة؟

الجعفري: نفصل هنا بين شيئين، أن يكون أميناً عاماً، وأن تكون تلك المقدمات التي أشرت إليها والتي أعتبرها مقدمات خاطئة بغض النظر عن الأخ المالكي أو أي أخ آخر، والنتائج مربوطة بمقدمات.. ملاحظتي ليست على الأشخاص فكلهم إخواني وزملائي.. أنا أعتبر كل أعضاء المؤتمر قياديين؛ لأنهم يفكرون بعقلية التضحية،

ويحاولون أن يضحوا، ويسهموا في بناء العراق، وعندما يختل التوازن القيادي في العطاء، وتُفهَم القضية على أنها قضية أخذ فُقِد القيادي المعطي والمضحي.

المقدم: على الصعيد الآخر وهو الصعيد الحكومي .. كيف تنظر الآن إلى أداء الحكومة العراقية؟

الجعفري: أداء الحكومة الآن بالمجمل ليس بالمستوى المطلوب؛ لظروف ليس لها علاقة بالأخ المالكي، إنما لها علاقة بالأطراف وكيف تعاملت، فالأطراف تعاملت بطريقة المحاصصة، ولا أستثني منها أحداً.

المقدم: هل هنالك بدائل في ذهن السيد الجعفري لما يراه إخفاقاً في العمل السياسي والحكومي الحالي؟

الجعفري: أكيد وهذا ليس فقط في ذهني، وإنما في ذهن أغلب القوى السياسية كالتي أتواصل معها، وهذا شعور يكاد يكون مشتركاً لدى الكثير من الفرقاء السياسيين العراقيين.

المقدم: هل هناك إفادة من تلك التجربة؟

الجعفري: بكل تأكيد، فقد أثبتت التجربة فشل مبدأ المحاصصة في تشكيل السلطة، وقد بدأت حالة من الوعي السياسي لدى المعنيين؛ بأنه سبب حالة من الابتعاد بينهم وبين الشعب.. هذا الإحساس بدأ الآن ينمو، أنا لست مع أن لا يختار الحزب وزيراً من بين أعضائه، ولكن يجب أن يكون خياره ليس على أساس إرهان الوزير، وجعله يتحرك ببوصلة الحزب، ويقتصر على أفراد الحزب، ويطبّق سياسة الحزب على حساب الحالة الوطنية العراقية.

المقدم: من خلال تجربتك؟ وأنت أيضاً حليف، أن الائتلاف حليف لكردستان!

الجعفري: أبقى مُحباً لهم وأخاً لهم، وأصارحهم عندما يخطئون وبمحبة، أنا لا أفهم المصارحة عداءً بل أفهمها محبة.

المقدم: البعض يقول: إن الجعفري يحاول أن يؤسس جبهة أخرى تكون بديلة؛ ويسعى لدعم عربي وإقليمي وربما أميركي؟

الجعفري: لنسمِّ الأشياء بأسمائها... فأن تكون جبهة فلا؛ لأن الجبهة مجموعة أحزاب وقوى سياسية، وأن تكون حالة تيارية، فنعم، وأن يؤسس فلا، بل يستجيب لحالة تيارية متنامية، وهذا هو فقه التيار.

المقدم: كما قلنا هذا سيصطدم بحالة متاحة الآن في العملية السياسية.

الجعفري: أنا لا أفكر بعقلية المرحلة الحكومية الحاضرة، إنما أفكر في شيء أتركه لبلدي على مستوى الدولة، وقاعدة جماهيرية عريضة تؤثر وتتأثر.

المقدم: متى نشهد الإعلان عنه؟

الجعفري: قريباً إن شاء الله، الإعلان متعين بشكل طبيعي (أوتوماتيكي) الآن الجميع يدركون أنه يوجد شيء اسمه تيار، والكل يتحدثون به، والكل يتفهمونه، إنما هو في داخلنا يتكامل ببنيته، ومع استكمالها ستكون درجة الإعلان أكثر وضوحاً، مرة أخرى أقول الإعلان عن الحزب يغاير الإعلان عن التيار.

المقدم: التأسيس معنى دخوله في السياق السياسي، وله مواقف وردود أفعال.

الجعفري: هذه ستتأخر، وسنعطي رأينا بكل شيء، ونقول هذا رأي التيار وما شاكل ذلك.

المقدم: حول بعض الحركات الجديدة أو الهامشية المسلحة الدينية أو ما وصفتها الحكومة العراقية ببعض التشكيلات المهدوية.. هل تتوقع أن العملية السياسية كما يقول البعض تفسخت؛ فأنتجت هوامش صغيرة من الحركات والعقائد الدينية.

الجعفري: العملية السياسية لم تتفسخ، بل هي في تصاعد، ولازالت توجد هناك بعض التراكمات والمشاكل، ويوجد خلل، ولكن دعني أقول لك: العملية السياسية جبل، والجبل فيه نقطة واحدة فوق اسمها القمة، وفيها خط واحد القاعدة اسمه الوادي، نحن لسنا في الوادي، كما إننا لسنا على قمة الجبل، نحن في صعود، ارمِ ببصرك إلى الخلف ستجد أننا لسنا في الوادي، فلا يوجد عراق صدام، ولا يوجد حزب واحد اسمه صدام، ولا توجد قوات عسكرية فقط لصدام، ولاتوجد فردانية، توجد حالة تعددية جماهيرية، ويوجد تداول للسلطة بطريقة ربما تناهز أو تضاهي ما موجود في أوروبا..
فأي دولة من دول العالم انتقلت من مرحلة إلى أخرى بالطريقة التي انتقلنا بها، وهذا الركام كله فوقنا، والتفجيرات التي قضّت مضجعنا، ونستطيع أن نتواصل، ونحقق ما حققناه، دُلّني على دولة واحدة في العالم لم تتعرض في بدايتها إلى مشاكل وتحديات، وسأعطيك سجلها كله.

المقدم: فعلاً لا توجد دولة تشبه وضعنا في العراق، ولكن بصيغ أخرى، بلد فيه عناوين كثيرة والتفاصيل غائبة، لا توجد خدمات، يوجد تناحر طائفي، توجد عقائد صغيرة منتشرة في البلد، حتى في الجنوب الذي يشهد هدوءاً نسبياً، الآن يتناحرون فيما بينهم.

الجعفري: كل التجارب في العالم أخذت وقتاً ولو تتصفح التاريخ لوجدت أن الدول التي مرت بمحنتنا، قدمت ضحايا أكثر، وأخذت زمناً أطول فقد سبقتنا الولايات المتحدة وثلاث عشرة سنة ولم تكمل الدستور، وسبقتنا بريطانيا، وأخذت وقتاً طويلاً جداً، وثمانية حروب أهلية، وسبقتنا إسبانيا، وحدثت حرب أهلية طويلة، وسبقتنا فرنسا، وفيها مشاكل من عام 1754م – 1789م في القرن الثامن عشر كل هذه الدول خسرت ما خسرت حتى وصلت إلى ما هي عليه..
فنحن لسنا في غرفة ظلامها دامس وننيرها بضغطة على زر النور، فصدام سقط كشخص لكن القيم الصدامية ليس معلوماً سقوطها، فيراد لها بعض الوقت.

المقدم: توجد أحزاب كبرى في بريطانيا والولايات المتحدة لا تمتلك فضائيات اليوم حزب أو شخص يمتلك فضائية وتاريخه السياسي تاريخ من الزهد.. كيف ترد على هذا التساؤل من قبل الناس؟

الجعفري: تلك الفضائيات إذا كانت لها وجهة معينة تدرّ على بلدي بالتوجه الصحيح، وتأخذ من المصادر الطاهرة والنظيفة على شكل تبرع ثم أرعاه رعاية عامة فلا عيب في ذلك مادامت تصب في الصالح الوطني العراقي.

المقدم: يقال عن الدكتور الجعفري: إنه يستخدم لغة معقدة في خطابه السياسي للجماهير، ولغة مركبة البعض يصفها بأنها لغة ثقافية أكثر مما هي لغة سياسية.

الجعفري: أنا ابن هذا الشعب، ولغتي ليست من وحي أكاديمي مُعيّن بل من هذا الشعب، وهو شعب مثقف، وشعب حضاري، والكتاب جزء من بيته، وهذا شيء لا أخجل منه، ويبقى همّي المتواصل هو أن يسهم خطابي بوضع ثقافي معين، وهذه ليست سُبّة أو عيباً عندما أتحدث في مضمار الثقافة، ثم ما العيب في أن أتحدث مع شعبي، و آخذ من شرائح المثقفين وأتعلم منهم، وأضيف إليهم، أما إذا أتينا إلى العمل السياسي والتنفيذي، فأنا سياسي تنفيذي حتى النخاع وهو جزء من حياتي.